تفسير ابن كثير

قال البخاري عند تفسير هذه الاية : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن ابن جريج سمعت عبد ا بن أبي مليكة يحدث عن ابن عباس وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث عن عبيد بن عمير قال : قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبي صلى ا عليه وسلّم : فيمن ترون هذه الاية نزلت ؟ { أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب } قالوا : ا أعلم فغضب عمر فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك فقال ابن عباس Bهما : ضربت مثلا بعمل قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لرجل غني يعمل بطاعة ا ثم بعث ا له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله ثم رواه البخاري عن الحسن بن محمد الزعفراني عن حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج فذكره وهو من أفراد البخاري C وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الاية وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولا ثم بعد ذلك انعكس سيره فبدل الحسنات بالسيئات عياذا با من ذلك فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيء وخانه أحوج ما كان إليه ولهذا قال تعالى : { وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار } وهو الريح الشديد { فيه نار فاحترقت } أي أحرق ثمارها وأباد أشجارها فأي حال يكون حاله ؟ وقد روى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : ضرب ا مثلا حسنا وكل أمثاله حسن قال { أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات } يقول صنعه في شيبته { وأصابه الكبر } وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رد إلى ا D ليس له خير فيستعتب كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجده قدم لنفسه خيرا يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان إليه كما حرم هذا جنته عندما كان أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته وهكذا روى الحاكم في مستدركه أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم كان يقول في دعائه [اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقضاء عمري] ولهذا قال تعالى : { كذلك يبين ا لكم الآيات لعلكم تتفكرون } أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها كما قال تعالى : { وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون }